من أعلام العراق00 د0 نوري جعفر : التفكير حق مشاع لكل الناس

عصام عبد العزيز المعموري



الحوار المتمدن-العدد: 2848 - 2009 / 12 / 4 - 02:18
المحور: الفلسفة ,علم النفس , وعلم الاجتماع

عصام عبد العزيز المعموري



من أعلام العراق ..
د0نوري جعفر : التفكير حق مشاع لكل الناس

د0 عصام عبد العزيز المعموري – بعقوبة – العراق

في وقت حاولت فيه مدارس علم النفس المختلفة تقديم تفسير مقنع للإبداع ، وكيف تحدث العملية الإبداعية ، نجد أن الباحثين قد اختلفوا في تحديد هذا المفهوم نظرا" لكثرة المجالات التي شاع فيها هذا المفهوم من جهة والى مناهج الباحثين واختلافاتهم واهتماماتهم العلمية والثقافية ومدارسهم الفكرية من جهة ثانية وتعدد جوانب الظاهرة الإبداعية وتعقدها من جهة ثالثة (1) 0
لقد بقيت الأسئلة الآتية تبحث عن إجابات من قبل الباحثين :
ما الإبداع ؟ وما مكوناته ؟ وما طبيعة العملية الإبداعية ؟ وما مستويات الإبداع ؟ وهل هناك مراحل للعملية الإبداعية ؟ وهل يمكن تعليم الإبداع والتفكير الإبداعي ؟ وما الخصائص التي تميز المبدعين من غيرهم ؟
ومن الباحثين الذين حاولوا تقديم تفسير للعملية الإبداعية كان الأستاذ الدكتور (نوري جعفر) رحمه الله الذي درّس في كلية التربية جامعة بغداد لسنوات عديدة0 لقد وضع د0 نوري جعفر تفسيرا" عراقيا" للإبداع تفرد به عن غيره من المنظرين ، وقد وضع هذا التفسير في كتابه (الإبداع وآليات الدماغ) عام 1974 بعد دراسة طويلة استغرقت (12 عاما" بدأها عام 1962 حيث يرى أن(قشرة مخ الإنسان تنفرد بوجود مناطق مخية خاصة بالإنسان وحده تسمى المناطق المخية الثلاثية وتنقسم هذه المناطق على قسمين : حسية وجبهية ، تقع الأولى من القسم الأعلى الأوسط في القشرة المخية وعلى جانبيها الأيمن والأيسر ، ووظيفتها الأساسية بعملية الإدراك الحسي ، وهي الأساس الجسمي (المادي : الدماغي) ، أما المناطق الجبهية فتقع في القسم الأمامي الأعلى في القشرة المخية ووظيفتها الأساس الإدراك الفعلي ، وهي الأساس المخي (المادي : الجسمي) وهي أرقى مناطق المخ وأحدثها من الناحية التطورية)) (2)0
كما يرى د0 نوري جعفر أن المناطق المخية الحسية الثلاثية هي الأساس المخي للإبداع في مجال الفن ، في حين أن المناطق المخية الجبهية الثلاثية هي الأساس المخي للإبداع في مجال العلوم الطبيعية والنظرية ، وعلى هذا الأساس بإمكان الناس أن يبدعوا إذا هيئت لهم الظروف البيئية الملائمة واستثمروا مناطقهم المخية الثلاثية إلى حدها الأقصى في الموضوع العلمي أو الفني الذي يميلون نحوه منذ سن مبكرة 0
لقد ظل د0نوري جعفر يردد منذ عام 1974 حتى وفاته في ليبيا عام 1991 (أن التفكير والإبداع حق مشاع لكل الناس الأسوياء عند توافر الظروف المناسبة لتحفيزهما وتنميتهما) وقد كان يدعو إلى تدريس مهارات التفكير للأطفال والشباب والكبار وكان يخالف الرأي القائل أن (الإبداع لا يمكن تعلمه أو تعليمه وأنه محدد بعوامل الوراثة الفطرية أو الجينات) الذي كان يتبناه كل من الفيلسوف اليوناني أفلاطون وعالم الوراثة البريطاني (كالتون) وعالم النفس الألماني المولد البريطاني الثقافة والعمل (ايزنك) وغيرهم ، إذ كان (ايزنك) يشير في أكثر من مناسبة أن 80% من العوامل التي تسهم في تحديد الذكاء ومن ثم الابتداع يرجع إلى المحددات الوراثية الجينية و20% للعوامل الحضارية والاجتماعية والتربوية (3)0
إن القدرة على الإبداع كما يراها د0نوري جعفر صفة مكتسبة تنشأ بالتدريب والممارسة نتيجة تفاعل إمكانيات الشخص المخية مع العوامل البيئية المحيطة ولاسيما الثقافية منها في موضوع تخصصه ، أي أن الجانب المبدع يحصل في كل عمل ذهني يقوم به الشخص نتيجة الممارسة الناجمة عن تفاعل الفرد والإمكانيات الاجتماعية والثقافية المتوافرة له (4) 0
وكان د0 نوري جعفر يدعو إلى تغيير أنماط التدريس التقليدية السائدة في مدارسنا في كتابه (التقدم العلمي والتكنولوجي ومضامينه الاجتماعية والتربوية) وكان يدعو إلى ضرورة تحويل الصف إلى مختبر يحضر فيه الطلاب للاكتشاف والبحث وان كان مايكتشفونه قد توصل إليه غيرهم : أي أنهم يتوصلون بأنفسهم وبمعاونة المدرس والكتاب إلى الاستنباطات الجديدة – بالنسبة لهم – وعلى وفق مستوى تطورهم الثقافي واستنادا" إلى تفكيرهم المستقل ، لا أن يقتصر الأمر على مجرد تلقي المعلومات القديمة وترديدها بشكل آلي في أغلب الأحيان (5) 0
وفي مجال البحث العلمي كان د0نوري جعفر يرى ضرورة سير البحث في المجال العلمي في البلاد العربية في جبهة عريضة متماسكة ذات ثلاث جوانب متلاحمة متكاملة ومتبادلة الأثر ، يتمثل الجانب الأول فيها بالجانب النظري الأكاديمي في الرياضيات والعلوم الطبيعية الأساسية : الفيزياء ، الكيمياء ، علوم الحياة . ويتمثل الجانب الثاني فيها بالجانب التطبيقي (التكنولوجي) الذي تستخدم فيه العلوم التطبيقية لأغراض التنمية الاقتصادية والاجتماعية استخداما" مباشرا" في حقل الإنتاج الصناعي والزراعي وفي مجالات الخدمات (التعليم ، الطب ، المواصلات) أما الجانب الثالث فهو الجانب السيكولوجي المتعلق بتهيئة العنصر البشري الكفء والمدرب والملتزم بقضايا مجتمعه وبالمجتمع الإنساني أيضا" (6)

لقد كان د0نوري جعفر ينحى منحى فسلجيا" (Physiological Tendency) في تفسيره لعملية الإبداع بعد أن استوعب آراء أبرز منظري هذا المنحى وهم عالم الفسلجة الألماني برودمان Brodmann الذي قسّم فيه المخ على مناطق متعددة لكل منها وظائف فسلجية محددة يقع بعضها فوق بعض (بخلاف التقسيم التشريحي المألوف : مخ ، مخيخ ، ونخاع مستطيل 00 الخ) وعالمي الفسلجة الايطاليين ماكون Magon وماروزي Marosi اللذين اكتشفا الجهاز المشبك (Reticular Formation) الذي يقع أسفل الدماغ وهو العضو المسئول عن تنشيط الدماغ ، وعالم الفسلجة الروسي بافلوف Pavlov صاحب النظرية في خصائص الجهاز العصبي المركزي عند الإنسان ومضامينها السيكولوجية والعالم الأمريكي كبرز Kappers صاحب الآراء العلمية الحديثة في تفسير نشوء الجهاز العصبي المركزي وتطوره في المملكة الحيوانية حتى بلوغه أعلى مراتبه لدى الإنسان (7) 0

المصادر

1- د0 عايش زيتون : (تنمية الابتداع والتفكير الإبداعي في تدريس العلوم) ، 1999م ، ص 11 0
2- عبد العباس مجيد تايه اللامي ، (تقويم المناخ التربوي الجامعي في ضوء العوامل المعززة للإبداع) ، أطروحة دكتوراه ، الجامعة المستنصرية ، 1996 م ، ص 38 0
3- د0 كاظم عبد نور (مجلة اتحاد الجامعات العربية) ، العدد 33 ، كانون الثاني 1998م ، ص 322-323 0
4- نفس المصدر رقم (2) ، ص22 0
5- د0نوري جعفر ، (الأصالة في مجال العلم والفن) ، 1979 م ، ص 53 0
6- د0 نوري جعفر : (العلم والتكنولوجيا في الوطن العربي) ، مجلة المعلم الجديد ، العدد الأول ، آذار 1985 ، ص 15 0
7- د0 قاسم حسين صالح : (نحو نظرية في الإبداع) ، مجلة العلوم النفسية ، العدد الثاني ، مركز البحوث النفسية ، جامعة بغداد ، 1994 م 0

(نشرت في جريدة الصباح ، العدد 706 ، الأربعاء 23 تشرين الثاني 2005 ، ص 14 0